للهِ الحمدُ من قبلُ ومن بعد، وصلي اللهُ وسلمَ على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد

فهذا كتاب عن "الغزالي" ألفه عالم فرنسى هو" البارون كارادوفو"، ونقله إلى العربية شيخ المترجمين العلامة" عادل عمر زعيتر".

ومن حق" أبى حامد الغزالى" أن يُكتبَ عنه الكثير من الكتب فى شرق البلاد وغربها، لأنه عَلَمٌ من أعلام العرب والإسلام أفادَ الفكر الإنسانى بشتى نواحيه ومراميهِ، وأخرج للإنسانية أبحاثا ودراسات تنوعت فى موضوعاتها، وتنقلت بين الفقه والفلسفة والأخلاق والتصوف والنقد والإبداع.

انشغل به علماءُ الغرب والشرق على السواء، ورأوا فى انتاجه ما يدفع العقل البشرى إلى الانبهار والاهتمام، فدرسوا حياته ومؤلفاته، وفلسفته وتصوفه، وكتبوا عنه وحققوا بعض كتبه، فكان من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- تصوف الغزالى،" بالفرنسية" للمستشرق آسين بلاثيوس، طبعة المطبعة الكاثوليكية فى بيروت سنة ١٩١٤م.

٢- الغزاليات،" مقال بالفرنسية" للأب موريس بوتج, نشر فى مجلة الكلية الشرقية ببيروت، ونشر مستقلا سنة ١٩٢٢.

٣- الغزالى الصوفى"بالانجليزية" لمرغريت سميث طبعة لندن سنة ١٩٤٤م.

٤- عقيدة الغزالى وعباداته، وهى ترجمة إنجليزية لكتابه" المنقذ من الضلال" كتب مقدمتها وعلق عليها مونتجومرى وات، طبعة لندن سنة ١٩٥٣م.

٥- بحث فى الترتيب الزمنى لمؤلفات الغزالى،" بالفرنسية" للأب موريس بونج، حرره وأكمله الأب ميشيل آلار. طبعة المطبعة الكاثوليكية فى بيروت سنة ١٩٥٩م.

٦- إعادة النظر فى سيرة الغزالى ومؤلفاته على ضوء كتاب" طبقات الشافعية" للسبكى،" بالفرنسية" مقال للأب ميشيل جبر فريد نشره فى مجلة المعهد الدومنيكى بالقاهرة ١٩٥٤م

٧- المؤلفات المنسوبة إلى الغزالى وصحة نسبتها إليه" بالإنجليزية"، مقال لمونتجومرى وات نشر فى مجلة الآسيوية الملكية ١٩٥٢م

٨- مادة الغزالى،" بالانجليزية" بقلم دنكان بلاك مكدونلد فى الموسوعة الإسلامية القديمة، كما كتب عنه وعن مؤلفاته المستشرق و. هـ جيردنر، وكذلك جولد تسيهر، وماسنيون، والأب روبير شدياق اليسوعى، وآرثر أربدى, و وعشرات غيرهم، مما يدل على الاحتفاء بعقلية الغزالى وعبقريته.

أما المؤلفات العربية التى اهتمت بالغزالى وتراثه فهى من الكثرة بمكان

لمحات من حياة الغزالى

أنجبَ القرن الخامس الهجرى الإمام الغزالى ليكون علما من أعلام الفكر الإسلامى ويجمل بنا أن نشير إلى شىء من تاريخ هذا الإمام، لنقف على العوامل التى تظاهرت على تكوين هذه العقلية الفريدة، وألوان الثقافة التى احتشدت فى ذهنه، والأبحاث والمؤلفات التى أبدعها تفكيره، وجعلته أهلا لأن يحتل تلك المنزلة بين علماء الغرب والشرق، كل ذلك بإيجاز حتى نصلَ إلى المراد.

• ففى مدينة "طوس" بمنطقة "خُراسان" وفى منتصف القرن الخامس الهجرى سنة"٤٥٠ هـ" ولد أبو حامد من أب عفّ القلب واليد، وُصف بالصلاح ومحبة العلم والجلوس إلى العلماء والوعاظ والفقهاء يستمع إليهم ويأخذ عنهم، ويتمنى أن يرزقه الله بأولاد من صلبه يصلون إلى مرتبتهم.

• استجاب الله دعاء هذا الرجل الصالح، فرزقه بولدين: أحدهما أبو حامد الذى نتحدث عنه، والآخر أحمد الذى اشتغل بالوعظ وبدع فيه إلى درجة كبيرة.

وعندما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصَّى صديقًا له من أهل التصوف قائلاً: " إنَّ لى لتأسفًا عظيمًا على ما فاتنى من العلم، وأشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدىَّ هذَين، فعلمهما، ولا عليكَ أن ينفد فى سبيل ذلك جميع ما أتركه لهما...

- أنفذ الرجل الصالح والصديق الوفى وصيته وأقبل على تعليمهما حتى فَنَى المال القليل الذى خلّفه أبوهما، فألحقهما بمدرسة تقدم لطلاب العلم الغذاء والكساء
- قضى أبو حامد الغزالى وقتًا من صباه يقرأ الفقه فى مدينة "طوس"، ثم سافر إلى "جرجان" ثم عاد إلى"طوس" ثم ارتحل إلى "نيسابور" ولازم إمام الحرمين الجوينى، فبرع فى الجدل، والمنطق، والفلسفة حتى صار يقهر مناظريه بأدلة علمية يعترف الجميع من خلالها له بالفضل
- توجه إلى "بغداد" ودَرَّس فى "المدرسة" النظامية" التى بناها الوزير" نظام الملك" وفيها يعظم مجده، ويتألق نجمه، ويذيع صيته، ويصبح مضرب المثل فى التدريس والإفادة
- سافر إلى"مكة" للحج وزيارة سيد الدعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدها عاد إلى خراسان وانقطع للعبادة والعزلة، وكان قبل هذه الفترة يدافع عن الإسلام ضد الباطنية، وأصحاب المذاهب الهدَّامة، يكتب ويؤلف ويناظر حتى عاد إلى "طوس" ليتفرغ كلية للعبادة والتدريس لطلبة العلم وإدامة الصلاة والصيام حتى رجعت الروح إلى بارئها فى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة "٥٠٥ هـ " ورغم هذا العمر القصير إلا أنه أبدع فى التأليف وأكثر، وإليك مؤلفاته.

مؤلفات الغزالى

للدكتور العلامة"عبد الرحمن بدوى" كتاب سماه" مؤلفات الغزالى" جمع فيه آثار هذا العالم الكبير، وبين الصريح من المنسوب، وبذل جهدا يُذكَرُ له فيُشكرُ عليه، وقد وضع الدكتور"بدوى" هذا الكتاب بتكليف من " المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية" فأجادَ وأفاد".

وسوف نعتمد على هذا الكتاب الذى أفادنا فى التعرف على المؤلفات الغزالية نستعرضها فيما يلى، مبتدئين بالكتب التى ثبتت نسبتها إلى الإمام الغزالى رحمه الله، وهى كما يلى:

١-**التعليقة فى فروع المذهب:** ويظهر أن هذه التعليقة هى أول ما كتبه الغزالى، وقد سبقت الاشارة إليها فى الحديث عن حياته، وقد علقها فى جرجان عن الإمام

أبى القاسم الاسماعيلى المتوفى سنة ٧٤٤هـ وهى نقول كتبها الغزالى فى أوراق، وكانت فى فروع فقه الشافعية.

٢- **المنخول فى الأصول:** وقد يسمى المنخول من تعليق الأصول، وقد تعرض فيه للإمام أبى حنيفة بنقد شديد، ثم عاد فأثنى على أبى حنيفة، وقد ألفه قبل سنة ٤٨٤هـ وتكلم عن الأحكام الشرعية والتكليفية وحقائق العلوم ومسائل الأصول.

٣- **البسيط فى الفروع:** وقد يسمى "البسيط فى المذهب"، وهوشبه مختصر لكتاب"نهاية المطلب" لشيخه إمام الحرمين الذى قال فيه ابن خلكان:" ما صنف فى الاسلام مثله" وهو فى مسائل الفقه.

٤- **الوسيط:** وقد يسمى" الوسيط فى المذهب"، كما قد يسمى" الوسيط المحيط بآثار البسيط"، وهو ملخص لكتابه"البسيط"، وقد شرحه طائفة من العلماء، كما اختصرته طائفة أخرى.

٥- **الوجيز:** وكأنه مختصر للوسيط فى الفقه، وقد وضع العلماء عليه شروحا ومختصرات وحواشى وردودًا، وممن شرحوه عبد الكريم بن محمد الرافعى فى كتابه" العزيز شرح الوجيز".

٦- **خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر:** وهو فى فقه الشافعية أيضًا، اختصر فيه مختصر إسماعيل بن يحيى المازنى المتوفى سنة ٢٦٤م. وقال الغزالى عن " خلاصة المختصر" أنه أصغر تصانيفه فى الفقه.

٧- **المنتخل فى علم الجدل:** ويسميه البعض" اللباب المنتخل فى الجدل".

٨- **مآخذ الخلاف:** ويسمى" المآخذ فى الخلافات"، ويقصد بالخلاف هنا الخلاف بين الشافعية والحنفية، وهو فى طرق المناظرة، وقد ذكر لنا الغزالى أنه ألف الكتب الأربعة التالية على الترتيب، وهى: مآخذ الخلاف- لباب النظر- تحصين المآخذ- المبادىء والغايات.

٩- **لباب النظر:** وهو كتاب فى طرق المناظرة والخلاف

١٠- **تحصين المآخذ:** ويسميه بعضهم" حصن المآخذ"، أو "التحصين"، وهو فى علم الخلاف.

١١- **المبادىء والغايات:** وهو فى أصول الفقه، وقال عنه الغزالى أنه" الغاية القصوى فى البحث الجارى على منهاج النظر العقلى فى ترتيبه وشروطه، وإن فارقه فى مقدماته".

١٢- **شفاء الغليل فى القياس والتعليل:** فيه مناظرة للباطنية، ومسائل من علم الأصول، ويسميه الغزالى" شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل، ومسالك التعليل".

١٣- **فتاوى الغزالى:** وهى تشتمل على مئة وتسعين مسألة، ومن بينها فتواه بحق يوسف بن تاشفين فى عزل الرؤساء العصاة، وقد أفتى بها سنة ٤٨٦ أو سنة ٤٨٧هـ وهذه الفتاوى هى التى توصف بفتاوى الغزالى المشهورة، وله فتاوى أخرى متفرقة، توصف بأنها غير مشهورة، وقد أورد السيد المرتضى الزبيدى طائفة منها فى الجزء الأول من كتابه الضخم"اتحاف السادة المتقين".

١٤- **غاية الغور فى دراية الدور**" فى بعض مسائل الطلاق، ألّفه سنة ٤٨٤ عقب وصوله بغداد.

١٥- **مقاصد الفلاسفة:** ألفه سنة ٤٨٨هـ قبل كتابه" تهافت الفلاسفة"، وقد ترجم " مقاصد الفلاسفة" إلى اللاتينية والأسبانية والعبرية، ووضعت عنه دراسات كثيرة شرقية وغربية، وله شروح بالعبرية..

١٦- **تهافت الفلاسفة:** ألّفه بعد " مقاصد الفلاسفة"، وهاجم فيه الفلاسفة، ثم جاء ابن رشد فرد عليه بكتاب سماه" تهافت التهافت". وقد ترجم كتاب الغزالى إلى الفرنسية واللاتينية والعبرية يتحدث عن المعانى التى تصلح القلب، والآفات التى تعترضه.

١٧- **الجام العوام عن علم الكلام:** يبدو إن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه الغزالى، لأنه فرغ من تأليفه فى أوائل جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ وهو يتكلم فيه عن مذهب السلف فى صفات الله تعالى، وقد ترجم الى الأسبانية.

١٨- **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين:** وهو فى التصوف والأخلاق والمواعظ، ووضعت له تلخيصات، وترجم إلى الفارسية والتركية(٥٧) آداب الصوفية، (٥٨) معارج القدس فى مدارج معرفة النفس وهناك كتب تنسب الى الغزالى، ولكن هذه النسبة مشكوك فيها، وهى الكتب التالية:

القواعد العشرة- الأدب فى الدين- منهاج العارفين- جامع الحقائق بتجريد العلائق- معراج السلوك- الحكمة فى مخلوقات الله- مقامات العلماء بين أيدى الخلفاء والأمراء- الرد الجميل على صريح الإنجيل- فاتحة العلوم- كنز القوم والكنز المكتوم- رسالة

فى النفس- فضائل القرآن- رسالة فى المعرفة- رسالة فى بيان معرفة الله- الرسالة اللدنية- غاية الوصول فى الأصول- لباب الأحياء- مختصر الأحياء- التأويلات- رسالة فى تعليم الأولاد- المواعظ فى الأحاديث القدسية- نكت العيون- قانون الرسول- إرشاد العباد- أنوار حكمت- الجواهر والأنوار ومعدن الحكم والأسرار- رسائل فى أحوال النفس- خواص من القرآن وفواتح السور- فتوح القرآن- خواص الآية" الله لا اله الا هو الحى االقيوم"- السر المصون المستنبط من القرآن المنكون- حل الرموز فى مفاتيح الكنوز- الخاتم- رسالة فى الأحرف الكريمة- تنزيل الوفق المثلث- التحبير فى علم التعبير- المضنون به على العامة- تفسير سورة يوسف- أصوال آداب الطريق- شجرة اليقين- كشف الأسرار فى فضائل الأعمال- البراهين التوحيدية.

١٩- **معيار العلم:** فى فن المنطق، ويسمى" معيار العلوم"

٢٠- **محك النظر:** فى المنطق، وقد ترجم الى الأسبانية

٢١- **ميزان العمل:** وهو فى تهذيب ورسم الطريق للعمل الصالح، وقد ترجم إلى العبرية.

٢٢- **فضائح الباطنية:** ويسمي" المستظهرى" نسبة إلى الخلفية المستظهر بالله الذى كلف الغزالى بوضعه، وقد فند فيه أباطيل الباطنية.

٢٣- **حجة الحق:** فى تفنيد مذهب الباطنية أيضًا، وقال أنه جواب كلام لهم عرض عليه ببغداد.

٢٤- **قواصم الباطنية:** وهو أيضًا فى الرد على شبه الباطنية.

٢٥- **الاقتصاد فى الاعتقاد:** وقد ترجم الى الأسبانية.

٢٦- **الرسالة القدسية فى قواعد العقائد:** ويسمى"قواعد العقائد" ألفه الغزالى فى القدس، ثم جعل هذه الرسالة جزءًا من كتابه"الأحياء"، وللرسالة شروح.

٢٧- **المعارف العقلية ولباب الحكمة الإلهية.**

٢٨- **إحياء علوم الدين:** وهو أعظم كتب الغزالى وأوسعها شهرة، وقد دافع عنه كثيرون، ونقده كثيرون، وله شروح وتلخيصات، وترجم الى الفارسية والألمانية والتركية والأردية، وقد نعود للحديث عنه.

٢٩- **مسألة لكل مجتهد نصيب:** ألفه فى دمشق.

٣٠- **جواب مفصل الخلاف:** رد فيه على الباطنية، وأجاب فيه عن كلام عرض عليه وهو

فى همذان، وقد يسمى" مفصل الخلاف فى أصول القياس" كما يسمى "مفصل الخلاف فى أصول الدين"

٣١- **المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى.**

٣٢- **بداية الهداية:** ذكر فيه ما لابد منه للعامة من المكلفين من العادات والعبادات، وله شروح وتلخيصات، وترجم الى الإنجليزية والألمانية..

٣٣- **جواهر القرآن:** وهو فى علوم القرآن وشرح مقاصده، والقسم الثالث منه طبع مفردًا بعنوان "الأربعين فى أصول الدين"

٣٤- **المضنون به على غير أهله:** أهداه إلى أخيه أحمد، وتكلم فيه عن مسائل للخاصة، ولا يحسن عرضها على غيرهم، كما يتضمن تلميحات وإشارات إلى رموز لا يعرفها إلا أهلها.

٣٥- **الدرج المرقوم بالجداول:** وهو من الكتب التى نقد فيها الباطنية حينما عرض عليه كلام ركيك من كلامهم وهو بطوس، وقد يسمى" الجداول المرقومة".

٣٦- **القسطاس المستقيم:** قصد به بيان ميزان العلوم، وهو من أواخر كتبه. وقد ترجم إلى العبرية والفرنسية.

٣٧- **فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة:** وقد ترجم الى الألمانية، وإلى الأسبانية ملخصًا.

٣٨- **القانون الكلى فى التأويل:** تحدث فيه عن الحديث:" أن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم"

٣٩- **كيمياء السعادة:** ألفه بالفارسية، وهو كتاب كبير، وكأنه ترجمه لكتاب" الإحياء". وقد وضع له ملخصًا.

٤٠- **أيها الولد:** ويسمى "الرسالة الولدية"، أو "نصيحة التلميذ"، وقد وضعه أولاً بالفارسية، ثم عرَّبه أحد العلماء، وله شروح ومختصرات، وقد ترجم إلى الألمانية والفرنسية والتركية.

٤١- **نصيحة الملوك:** ألَّفه بالفارسية، وعرَّبه على بن مبارك بن موهوب بعنوان "التبر المسبوك فى نصيحة الملوك"، وقد يسمى: " خريدة السلوك فى نصيحة الملوك". وترجم الى التركية.

٤٢- **زاد الآخرة:** كتبه بالفارسية، وتحدث فيه عن العلم والعمل، وجعله للعوام الذين لا يطيقون فهم كتابه" كيمياء السعادة".

٤٣- **مشكاة الأنوار:** فى فلسفة التصوف، وقد ترجم إلى العبرية والإنجليزية. وهو من كتب الغزالى المتأخرة التى تمثل مرحلة النضج الفكرى والروحى عنده، وبعض المستشرقين يرى أنه ألَّفه ما بين سنتى ٤٩٥و٥٠٥هـ وقد تحدث الغزالى فى هذا الكتاب عن أسرار الأنوار الإلهية، مع التعرض لتفسير الآية الكريمة:" الله نور السموات والأرض"، وشرح الحديث: "إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة"

٤٤- **تفسير ياقوت التأويل:** فى تفسير القرآن الكريم، ويروى أنه يقع فى أربعين مجلدًا.

٤٥- **الكشف والتبيين فى غرور الناس أجمعين:** وهو فى التصوف

٤٦- **تلبيس إبليس:** وبعضهم يسميه "تدليس إبليس"

٤٧- **المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال:** ألفه بعد أن تولى التدريس فى المدرسة النظامية بنيسابور، وبعد أن بلغ الخمسين من عمره، أى فى أواخر حياته، وهو دليل مهم فى التعرف إلى مؤلفات الغزالى، وهو أشبه بمذكرات عن حياة الغزالى، وقد ترجم الى الإنجليزية والفرنسية والتركية والهولندية.

٤٨- **تهذيب الأصول:** وهو كتاب ضخم فى علم الأصول.

٤٩- **حقيقة القولين:** دافع فيه عن الشافعى، وذكر طائفة من أحواله وأقواله

٥٠- **أساس القياس.**

٥١- **حقيقة القرآن.**

٥٢- **المستصفى من علم الأصول:** ألفه بعد رحلته التى اعتزل فيها وتصوف، وفرغ من تصنيفه فى سادس المحرم سنة ٥٠٣هـ

٥٣- **الإملاء على مشكل الإحياء:** أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه فى كتابه، ويقول عنه الغزالى أنه مؤلف لطيف، وهو مطبوع على هامش كتاب الأحياء

٥٤- **الاستدراج:** تحدث فيه عن مقام المسلم والمؤمن والمحسن

٥٥- **الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة.**

٥٦- **أسرار معاملات الدين:** وهو كما يقول الغزالى كتاب عظيم الفائدة، ولا ينتفع به إلا فحول العلماء الراسخون فى العلم،

نبذة عن "كارادوفوا"

كان العلاَّمة" عادل زعيتر" يضع فى مقدمة الكتب التى يقوم على ترجمتها تعريفًا موجزًا عن مؤلفيها، ويبدو أنه لم يفعل ذلك فى كتاب "الغزالى" إمَّا لأن الكتاب طبع بعد وفاته كما يقول شقيقه" أكرم زعيتر"، أو لأنه تكلم عنه فى كتابه" مفكرو الإسلام" لذات المؤلف.

وعلى أية حال، فسوف أكتب لك ترجمة موجزة عن " كارادوفوا".

إنه مستشرق فرنسى، ولد سنة ١٨٦٧م، وتلقى تعليمه على يد بعض المستشرقين الفرنسيين، واختار دراسة الشخصيات المؤثرة فى الفكر الإنسانى لا سيما من أعلام العرب والمسلمين، فكتب عن "ابن سينا"، و" مفكرى الإسلام" الذى صدر فى خمسة أجزاء، وقد ترجمها العلامة "عادل زعيتر"، كما أن له كتابا أسماه" عقيدة الإسلام"، وبحثًا عن " عمر الخيام وأثره فى علم الرياضيات"، وكانت تصدر له مقالات فى " المجلة الآسيوية"، و" حوليات الفلسفة المسيحية"، وقد صدرت له مقالات عن الإسلام خرج فى بعضها عن جادة الصواب مما يدل على نوع من التعصب.

توفى "البارون كارادوفوا"[1] سنة ١٩٥٣.

وقفه مع كتاب "الغزالى"

فى الكتاب عمق فى البحث، ورجوع إلى المصادر العربية التى لم تكن قد طبعت فى ذلك الحين، ومع هذا قد يجد القارىء آراء تعبر عن هوى الكاتب، لكنه بحصافته

(١) انظر مؤلفات الغزالى د/ عبد الرحمن بدوى [ص ١٢٢]، وموسوعة المستشرقين له أيضا.

يدرك أن هذا هو المنهج الذى سار عليه جملة من المستشرقين الذين قد يبثون فى أبحاثهم غمزة هنا ولمزة هناك.

ولذا كانت ترجمة هذه الكتب من الواجبات ليعرف المسلمُ ما يقال عن الإسلام وأعلامه، فيأخذ المراد إن كان صدقا وإنصافًا، ويَرُدَّ على الأخرى إن كانت ادعاءات أو إجحافًا.

ومهما كان الأمر، فإن كتاب " كارادوفوا" عن الغزالى ظلَّ مصدرًا للباحثين فى الفلسفة والأخلاق والتصوف الإسلامى، ينقلون عنه وينقدون بعض ما جاء فى صفحاته.

وهذا ما فعله العلامة" عادل زعيتر" عندما علق على بعض الآراء المغلوطة، ورَّد عليها بإيجاز فى هوامش الكتاب.

والحقيقة أن هناك بعض الهوامش التى كتبها الأستاذ الأديب العالم. محمد عبد الغنى حسن" عضو مجمع اللغة العربية، أضافها مع تعليقات المترجم تركتُها كما هى لأهميتها، وكتبت أمامها" عبد الغنى" أو " محمد عبد الغنى حسن" وقمتُ بتخريج ما ورد فى الكتاب من أحاديث، وببعض التعليقات التى بدأناها بكلمة "قلتُ".

ونحن نسأل الله أن نواصل الطريق لنخرج للناس ترجمات العلامة المرحوم شيخ المترجمين "عادل عمر زعيتر" لما نراه فيها من الافادة للباحثين وطلاب العلم، والله الموفق وهو وحده المعين

عادل عبد المنعم أبو العباس

القاهرة- بنى مجدول

تقديم

بقلم..
الأستاذ أكرم زعيتر

أعزِزْ عليَّ[1]، أعزز عليَّ أن أقدم هذا الكتاب بدلًا من أن يقدِّمه مترجمُه شقيقى وأستاذى عادل زعيتر، وكان يعد العدة لدراسة مُفاضة عن الغزالى يقدم بها كتابه، فقضى دون ذلك.

وإنى لأذكُرُ يومًا ألمَّ فيه بأخى مرضٌ وجيعٌ، فاستدنانى منه وقال: "إننى فى معترك المنايا، وأرانى أدنو من النهاية، ولا آسى على شيءٍ أسايَ على كونى أَقضى ولم أُنجزْ رسالتى[2] التى نذرتُ على نفسى أداءَها ودونك وصيتى.." وهنا تكلَّفتُ الجلد، وأخذتُ أستبعدُ ما يساوره، ولكنه مضى يؤكد أنه لا يستشعر خوفًا مما هو صائر إليه، وإنما هى كتبٌ جاءت حصيلةَ جهده هذا العام أعدَّها إلى رحلة الشتاء المعتادة إلى القاهرة، للإشراف على طبعها[3]، ثم قال: " وقد شرعتُ أترجم" مفكرو الإسلام" لكرادوفو، وأودّ لو يُنْسِيءُ اللهُ فى أجلى كى أُتمه، فبادِرْ بعد وفاتى إلى الاتصال بصديقنا الأستاذ محمد الحلبى- وكان "عادل" يثق بمحمد الحلبى ويعده طرازًا رفيعًا فى سراوة العاطفة ووفاء الصداقة- وهو الكفيل بإخراج ما ترجمتُ من كتب كرادوفو" وقال أشياء أخرى، ثم سمعتهُ بعد لأْى ينشد:

فَإن تَسْأَلِ الأَيـامَ مَاَ اسْمِي مَا دَرَتْ وأيــنَ مكَانى مَـا عَـرفْـنَ مَكَانِيَا!

---

(١) قلتُ: أعزز بمعنى عزيزٌ علىَّ

(٢) نقل الفقيد إلى العربية نحو أربعين مجلدًا لأئمة الفكر وأعيان الفلسفة وجهابذة الاجتماع أمثال: مونتسكيو وجان جاك روسو وفولتير ورينان وغوستاف لوبون وفنلون وأميل لودفيغ ودر منغم وأناتول فرانس وسيديو وحيدر بامات وبوتول وايسن.

(٣) الغزالى لكرادوفو وابن سينا لكرادوفو والرسائل الفلسفية لرينان.

وأعاد البيتَ، فقلت له:" لا، يا سيدى الأيامُ ستدرى ما اسمك، وستبوِّئُك مكانك فى الخالدين".

وأبلَّ عادل من مرضه، واستأنف جهوده فى نشاط عجيب، وإنتاج وافر ينوء بالعصبة أولى القوة؛ ويمَّمتُ بيروت مستشفيًا، وبينما كنتُ رهن مبضع الجراح استأثر الله بأخى فى نابلس، فما لبثت حتى عدتُ إليها أعتمر قبره، أُندِّية بالذكريات وأُخضِّله بالعبرات.

وقـالـتْ: أتـبْـكـي كُـلَّ قَـبْـرٍ رأيـتَـهُ لقبرٍ ثـوَى بينَ الـلّـوَى فـالـدكَـادِكِ؟

فقلتُ لهَا: إن الأسـى يبعثُ الأسَى رُوَيْـــدًا فـهـذَا كُـلّـهُ قَـبـرُ مَـالِـكِ!

وفى الخامس عشر من آذار "مارس" توافت إلى "نابلس" من الأقطار العربية وفودٌ من أعلام الفصحى وأساطين البيان، فتنافست فى تمجيده، وتواصت بتخليده، ونثرت على قبره زهور الوفاء، فكان فى هذا التقدير عن ذاك الجحود بعض عزاء.

ولعله من لطف الأقدار أن يكون كتاب"الغزالى" أول ما يطبع من آثار عادل بُعيد وفاته، فالغزالى كان محبَّبًا إليه، أثيرًا لديه، وعلى ما كان للعقل وللبراهين العقلية لدى عادل من مكانة تتجلَّى فى آرائه ومعتقداته السياسية والاجتماعية والفقهية فإنه كان فى تديُّنه وتقواه، وفى صفاء نفسه وروحانيته، وفى اتجاهه إلى الله وإيمانه، وفى تقديره قيمة القلب والوجدان بابين إلى معرفة الله، على مذهب حجة الإسلام أبى حامد الغزالى.

وبعد فهذا كتاب "الغزالى" للعلامة الفرنسى" البارون كرادوفو" نسج "عادل" حلته العربية. وقد تجلَّى على العربية، قبله، بقلم"عادل" كتاب" ابنُ رُشْد والرشدية"[1] للفيلسوف الفرنسى "رينان" وأرجو أن يطلع عليها فى الآتى القريب كتاب" ابن سينا" للعلامة "كرادوفو"، فتنعم عربيتنا بأروع ما كتبه أعلام الغرب عن فلاسفتنا الثلاثة الكبار.

رحم الله عادلاً عدد كلمات آثاره وأحرف كتبه، وجزاه عن عربيته وإسلاميته أكرم الجزاء.

نابلس فى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٧٧

١٢ من يونيو (حزيران) سنة ١٩٥٨

أكرم زعيتر

(١) قلتُ: سوف يخرج قريبا طبعة مكتبة ابن سينا، وقد قدمتُ له بدراسةٍ موجزة.

مقدّمة المؤلّف

يرتبط هذا الكتابُ الذى نُقَدِّمه اليوم إلى القارىء بعُنوان" الغزاليّ" ارتباطًا وثيقًا بالكتاب الذى نشرناه عن " ابن سينا" منذ سنتين، وفى كتاب "ابن سينا" كنا قد بحثنا فى انتقال مأثور الفلسفة اليونانية إلى الإسلام، كما بحَثْنا فى مذهب المعتزلة العقلىّ وفى الفرع المَشْرِقىّ لمدرسة الفلاسفة الخُلَّص، وأما فى كتاب "الغزالىّ" فسنتناول بالدرس لاهوتيين سُنِّيين، ونظريين يُعْرفون بالمتكلمين، وجماعة الخُلُقيين، والصُّوفية، ولا يَبْقَى خارجَ نِطاق هذين الكتابين غيرُ تاريخ الفرع المغربىّ للمدرسة الفلسفية المشتملِ على صلات السِّكُلاَسية[1] العربية بالفلسفَة اليهودَّية و السِّكُلاَسية النصرانية، وقد عَرَف الجُمهورُ أمرَ هذا الدَّوْر الثالث من تاريخ الفلسفة فى الإسلام، حيث يَسود "ابن رشد"، بكتاب رِينَان[2].

وعلينا أن نُوَجِّه نظر القرّاء غير المستشرقين إلى أن هذا الكتاب عن الغزالى له أهمية حقيقية. أَجَلْ، وُضِعَ هذا الكتاب بلا ريب على نَمَط كتاب تاريخىّ، غير أن الغزالىّ وأكثر المؤلفين الذين ذُكِرُوا فيه يُعَدُّون- فى الوقت الحاضر- المُصَنِّفين الكلاسيين[3] للحركة الإسلامية، فكتبهُم كثيرةُ الانتشار فى الشرق، وهى تُقْرَأُ وتُدرس فى المدارس والمساجد، ولا يزال الروحُ المحمدىُّ متمثلا فيهم فى أيامنا، ولِذَا فإن من الضرورىِّ

(١) Scolastique

(٢) اسم كتاب رينان هذا هو « ابن رشد والرشدية» وقد نقلنا هذا الكتاب إلى العربية وتم طبعه سنة ١٩٥٧.»المترجم»

(٣) Classiques

أن يَبْحَث عنهم كلُّ من يُريدُ أن يكسب معرفة تامةً عن روح الإسلام وحياته الداخلية.

ولأهل العلم نعترف بهذه الحقيقة- وهى أنه- خلال تأليفنا هذا الكتاب- كدنا نؤكد مضطرين، ومع شيءٍ من الدَّهَش، أن موضوعه كان معروفًا معرفةً ناقصة إلى الغاية، فيُوجَدُ كثيرٌ من النِّقاط الغامضة فى هذه المادة ذات الأهمية وهى مع ذلك سهلة المنال، ولا جَرَم أننا لاقَيْنَا فى كتابنا"ابنِ سينا" هذه العبارات الغامضةَ، بَيْدَ أن هذا الغموض نشأ، على الخصوص، عن فقدان الوثائق، أى الوثائق التى لم يكن شىء فى ذلك الحين يجعل اكتشافها متوقعا، وذلك بَدَلاً من كَوْن الوثائق هنا، فى كتاب "الغزالىّ"، غزيرةً فى كثير من النِّقَاط، وذلك أنك تَجِدُ كثيرًا من الكتب حَوْل هذه الموضوعات مطبوعة رائجةً فى الشرق، كما أنك تَجِدُ نُسَخًا خطيةً عنها فى مكتباتنا، إلا أن هذه الكتب لم تُوَضَعْ، قَطُّ، على مِحَكِّ التحليل الدقيق، أو البحث العميق، وقد بَذَلْنا جَهدًا فى بيان ما يَلُوح لنا أنه مُلِحٌّ أكثر من سواه فى هذه الصنف من الدراسات.

وهكذا فإنك إذا عَدَوْت البناء العامَّ لهذين الكتابين، وإذاعَدَوْت هذا العملَ فى التوضيح والتنسيق الذى هو سببٌ رئيسٌ لهما، وَجَدْتَنا قد أبرزنا فيهما قِطَعًا كثيرة متميزة جديرةً بالملاحظة، وسِرْنا قُدُمًا فى تحليل مختلف التآليف، مُظْهرين أىَّ الاتجاهات يَجِبُ أن ينصرف إليه نشاط الباحثين، وزودنا دراسة الأسئلة فى هذه السُّبُل الكثيرة، وجَعَلْنا من أنفسنا مَثَلاً، فنَأْمُن أن نَكُون أهلاً للعِلمْ بذلك.

وإليك بعضَ تصويبات لكتابنا" ابن سينا":

اقرأ ٥٤٨ بدلاً من ٥٢٨، وذلك فى الصفحة ١٦ رقم ٢، السطر

الأخير- وفى الصفحات ٨٨- ٩٠ لا يجوز أن يُعْزَى كتابُ" البدء والتاريخ" إلى أبى زيد البلخىّ، وإنما هو للمطهَّر بن طاهر المقدسى غير المعروف فى موضع آخر، فقد تَمَّ تأليف هذا الكتاب سنة ٣٥٥، مع أن أبا زيد الذى نُسِبَ إليه منذ القرن الثالث عشر من الميلاد قد توفى سنة ٣٢٢هـ، انظر إلى الجزء الثانى من المجلة الآسيوية لسنة ١٩٠١، ص ١٦ وما بعدها،- الصفحة ١٤٢،السطر ٢١- هنالك خطأ حَمَلَنا على وَضْع ٥٨ بدلاً من ٥٣ الذى كنا نَقْصد أن نكتبه، وذلك أن الجُوزجانىَّ الذى اتبعناه جعل وفاة ابن سينا فى الثالثة والخمسين من عمره، وبما أن الفيلسوف قد تُوُفِّىَ سنة ٤٢٨هـ، فإنه يكون قد وُلِدَ سنة ٣٧٥هـ، وتَقُول مصادرُ أخرى إن ابن سينا مات فى الثامنة والخمسين من عمره ووُلِدَ سنة ٣٧٠هـ، وقد سُلِّمَ بهذين التاريخين على العموم، راجِعْ هـ. دِرِنْبُرْغ، المخطوطات العربية من مجموعة شِيفر، مجلة العلماء، ١٩١٠، ص ٣٣- الصفحة ١٤٨ السطر ١٥، اقرأ المَجَاز بدلاً من المُوجَز. ويُمْكِنُ أن يُقْرَأ، كمقدمةٍ للكتابين الذين نُعْتنىَ بهما كتابُنا الذى عُنوانُه: "المحمدية والعبقرية السامِيَّة والعبقرية الآرية فى الإسلام"، وتُوجَدُ مُذَكِّرةٌ مهمة تناسب عَيْنَ الموضوع، عُنوانهُا:" رسائلُ الجمعية الملكية للعلوم فى غُوتِنْغِن: الفِرَقُ المعارِضة الدينية السياسية فى الإسلام القديم"، وهى ا. ج. وِلْهَاوْزِن، برلين ١٩٠١،- وعن عقيدة أقطاب التصوف انْظُرْأ. بلُوشِه، فى "دِراسات حَوْلَ الباطنية الإسلامية"، المجلة الآسيوية، ١٩٠٢، جزء٢- وقد وَضَع مسيوت. دُوبُوير موجزًا عن الفلسفة العربية:" تاريخ الفلسفة فى الإسلام"، ستتغارت، ١٩٠١،- وقد أَلْقَى مسيول. غُوتِيه، فى مدرسة الآداب بالجزائر، محاضرة عن الفلسفة الإسلامية، الدرس الافتتاحىّ، نشرت بباريس، لُورُو، ١٩٠٠.

ونَعْلَمُ أن العالِمَ الإسبانىَّ، مسيو ميغل آسين، نَشَر حديثًا كتابًا نفيسًا عن الغزالىّ، فرأينا أن نَكُون مستقلين استقلالاً تامًّا حِيالَ هذا الكتاب مادامت وجهةُ نظرنا وخطُتنا قد حُدِّدتا مُقَدَّمًا بنشر كتابنا"ابن سينا".

ولم يَبْقَ علينا إلاَّ أَنْ نَشْكُر لقرائنا حُسْنَ قبولهم كتابَنا عن "ابن سينا"، ومن الواضح أن المؤلِّف فى مِثْل هذه الموضوعات يَكْتُبُ، على الخصوص، عن ميل وعن إرضاء لحاجة خاصة فى نشاطه وَفْقَ منهج يلائمه، ومع ذلك فإن استحسان صَفْوة الناس وما يَحْبُوننا به من شهادة يُقَدِّرون بها، كما نُقَدِّر، وجوهَ الفكر البشرىِّ أو أوضاعَه التى بَدَتْ لنا رائعةً، هما فوق ذلك أمران مُرْضِيان جديران بالتقدير، فلا يُمْكِنُ الوقوف أمامها بلا شعور، وقد أَظْهَر لنا كثيرٌ من القراء آيات العطف هذه، ونحن معترفون لهم بالجميل.

ريو، سبتمبر ١٩٠٢

البارون كارا دُوفُو